الفصل الثاني

الأماكن المُقدسة والتاريخية في القُدْس وإدارتها

obeikandl.com

obeikandl.com

١- الأماكن المقدسة والتاريخية في فِلِسْطين

تضمّ منطقة فِلِسْطين أهمّ الأماكن التاريخية والمقدسة، مثل مِحْراب سيدنا زكريا عليه السلام، ومَعْبد سيدنا سليمان عليه السلام، ومولد فيه سيدنا عيسى عليه السلام، والمكان الذي رُفِع منه إلى السماء، وقُبّة الصخرة، وتضمّ كذلك الميراث المشترك بين الأديان، وأهمّ آثار تاريخ الإنسانية والحضارة؛ وكثير من الأماكن المُقَدسة عند المسيحيين واليهود في القُدْس هي أماكن مُقَدسة عند المسلمين أيضًا؛ لأن آثار الأنبياء السابقين مُقَدسة لدى المسلمين كذلك، وفيما يلي عرض لأهمّ الأماكن في القُدْس عند المسلمين:

١- المسجد الأقصى أو بيت المقدس

المسجد الأقصى هو المسجد الذي ورد ذكره في القرآن الكريم (سُورَةُ الإِسْرَاءِ : ١/١٧)، وقد بُني في مكان مَعْبد سيدنا سليمان عليه السلام القديم، وقد أمر سيدنا عُمَر رضي الله عنه بمجرد تسلُّمه مفاتح القُدْس بتنظيف المسجد الأقصى (مَعْبد سليمان) الذي ظلّ تحت الأنقاض طِيْلة العَهْد المسيحيّ، وشاركهم بنفسه في هذا الأمر أيضًا، وصلى بالناس جماعة على أرض مُستوية جنوب الصحراء، ثم أمر أن يُقام فيها مسجد، وقد أنبأنا رسول الله ﷺ أن المسجد الأقصى أحد ثلاثة مساجد تُشدّ إليها الرِّحال (والآخران هما المسجد الحرام والمسجد النبوي) من أجل التعبُّد والزيارة، وأن الصلاة في هذه المساجد تفوق صلاة المرء في بيته بخمسين ألف ضِعْف،[٤٩] يُضاف إلى ذلك أن المسجد الأقصى كان أولى القِبْلتين سِتّة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وتذكر التوراة أن مَعْبد سليمان في الأقصى كان أول مَعْبد لليهود في القُدْس، لهذا يُعرف كذلك بأنه المَعْبد الأول.

(٤٩) - البخاري، "**فضائل الصلاة في مسجدي مكة و المدينة**"، ١، ٦؛ ابن ماجة، "**الإقامة**"، ١٩٨.

obeikandl.com

المسجد الأقصى

(مكتبة الآثار النادرة بجامعة إسطنبول، ٩٠٤٨٢- ١٦)

ويُطلق عليه في اللغة العربية "بيت المقدس"، وكذلك يُطلق عليه في اللغة الآراميّة "*Beth makdeşa*" والعِبْرية "*Beth hamikdaş*"، وقد أُطلق هذا الاسم ليشمل المدينة كلها، وقد اشتُقّ اسم القُدْس الذي يُطلقه المسلمون على المدينة من الأصل نفسه، وهو يُعبّر في الأصل عن المَعْبد لا عن المدينة.

يتفق علماء الإسلام على أن بيت المقدس الذي أقامه سيدنا سليمان عليه السلام هو نفس المكان الذي بارك الله حوله كما ورد في القرآن الكريم، ويُطلق عليه "الأقصى" في اللغة العربية لبُعْد المَعْبد عن مكة، وورد في الحديث أن هذا المكان هو ثاني مسجد بعد المسجد الحرام أُقيم للناس كي يتعبدوا الله تعالى فيه، وقد زادت قيمة المسجد الأقصى عندما أسرى الله تعالى برسوله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوله يوم "الإسراء"، ومنه كان "المعراج" بعد ذلك.

وكما يُطلق المسجد الحرام اليوم على الكعبة وما حولها، يُطلق الحرم الشريف على المسجد الأقصى وما حوله أيضًا، ويُقصد به المكان المقدس الذي فيه قُبّة الصخرة، وتُحيط به أسوار يبلغ ارتفاعها في بعض الأماكن ما بين ٣٠-٤٠ مترا، ويبلغ طولها من الناحية الشمالية نحو ٣٢١ مترًا، ومن الجنوب ٢٨٣ مترًا، ومن الشرق ٤٧٤ مترًا، أما الطرف الغربيّ منه فيصل طوله إلى ٤٩٠ مترًا، كان سيدنا دواد عليه السلام هو الذي اختار مكان المسجد، وخطّط لبنائه، ولكن سيدنا داود عليه السلام أخبر ابنه سليمان عليه السلام أن الله جل جلاله قد أمره ببناء المَعْبد، ومن ثمّ سلَّم إليه كل مُستلزمات بناء المَعْبد وموادّه، وتمّ تدبير الأحجار والأخشاب الضرورية لبناء المَعْبد من جبال لبنان، واعتمد "حيرام" ملك "سور" على رجاله والعمال الذين أرسلهم سيدنا سليمان عليه السلام، وأعدَّهم للعمل فى أعمال البناء، ثم أرسلهم إلى القُدْس.(٥٠)

تعرّض بيت المقدس الغنيّ بالأشياء الثمينة بعد وفاة سيدنا سليمان عليه السلام إلى السَّلْب والنَّهْب من قِبَل المُحتلّين، وتعرَّض لأكبر عملية تخريب إبان الاحتلال الثالث له من قِبل بختنصر الثاني حاكم بابل، وساق بختنصر الذي دمَّر المدينة عددًا كبيرًا من أهل القُدْس إلى بابل مع ما جمعه من المدينة من غنائم، بالإضافة إلى الحِلَى الذهبية التي انتزعها من أبواب المَعْبد وحوائطه بعد أن تهدّم.

أما حائط المَبْكى الذي يقصده اليهود ظنًّا منهم أنه جزء من مَعْبد سليمان في وقتنا الحاضر، فهو من بقايا الجزء الغربيّ من السُّوْر المحيط بهذا المَعْبد، وفي هذا البناء الحُجُرات التي كان سيدنا زكريا عليه السلام والسيدة مريم عليها السلام يتعبّدان فيها كما ورد في القرآن الكريم.(٥١)

(٥٠) نبي بوزقورت، "**المسجد الأقصى**"، موسوعة وزارة الشؤون الدينية الإسلامية، ج ٢٩، نشر وَقْف الشؤون الدينية، ص ٢٦٨-٢٧١.

(٥١) بوزقورت، مصدر سابق.

٢- حرم المسجد الأقصى:

ويُقصد به المنطقة والمباني بين قُبّة الصخرة والمسجد الأقصى.

٣- قُبّة الصخرة:

هي القُبّة التي بُنيت فوق حجَر يُقال له صَخْرة الله أو حجَر الصخرة، وتقع بجوار المسجد الأقصى، وهي التي تحولت إلى مسجد بعد ذلك، وتحتها مغارة تحوي الأمانات المُقَدسة مثل أثَر قدَم سيدنا جبريل ورسول الله ﷺ، ورايات سيدنا رسول الله ﷺ وسيدنا عُمَر، وتُرْس حمزة، والمسامير الذهبية التي دقّها رسول الله ﷺ.

وقُبّة الصخرة مكان شُيّد على صخرة مُقَدسة، وهي بناء ثُمانيّ الأضلاع له قُبّة فى وسَطه، وكان الخليفة الأُموي عبد الملك بن مروان أولَ من أَمر ببنائه، وهذا المكان من أوائل الآثار المِعْمارية الإسلامية ذات القِبَاب، وقد أُطلق على هذا المسجد جامع عُمَر؛ لأنه أُقيم في موضع المسجد الذي بناه سيدنا عُمَر، وتذكر إحدى الروايات أن الصخرة فوق المَبْنى هي قِبْلة موسى عليه السلام، وأنها المكان الذي توجّه إليه الرسول الأكرم ﷺ في صلاته حتى نزلت آيات تحويل القِبْلة (سُورَةُ البَقَرَةِ : ٢/١٤٤، ١٤٩، ١٥٠).

وورد في بعض الروايات أن عبد الملك أمر ببناء قُبّة الصخرة وزَخْرفتها بما يفوق المباني المسيحية الأُخرى مثل كنيسة القيامة في بهائها وعظمتها، ليصرفهم عن الانبهار بمبانيهم، وكان الهدف من بناء قُبّة الصخرة هو إثبات وجود الأمويين، وترسيخ الإسلام في القُدْس الذي يضمّ كثيرًا من المعالم اليهودية والمسيحية.

لقد تعرّضت قُبّة الصَّخْرة لتغييرات مُتعددة أثناء الاحتلال الصليبيّ، وتحولت إلى كنيسة عرفت بكنيسة أقدس المقدسات أو (مَعْبد الرب)،وأقام الصليبيّون مَذْبحًا فوق الصخرة، ووضعوا الأيقونات داخل المَبْنى

في المغارة أسفل الصخرة، ونصَبوا صليبًا ضَخْمًا بدلًا من العَلَم الذي كان فوق الصخرة؛ وألحقوا بالقسم الشمالي من المَبْنى غُرَفًا للوُعَّاظ المسيحيّين، لقد احترم الصليبيّون قُبّة الصخرة احترامًا شديدًا، فكانوا أحيانًا يقتطعون جزءًا منها ويُرسلونه إلى بلادهم، وقاموا بحفظها داخل كنائسهم باعتبارها أثرًا مقدسًا، وكان رجال الدين يقتطعون منها أيضًا ويبيعونها بوزنها ذهبًا، وزيَّن ملوك الصليبيّين الصخرة من الأعلى بالرُّخام لمنع هذا، ثم أتى صلاح الدين الأيوبيّ الذي فتح القُدْس فأزال كل شيء أقامه الصليبيون عدا هذا المَرْمر، والسياج الحديديّ الذي وضعوه حول الصخرة.

لقد نالت قُبّة الصخرة على امتداد تاريخها احترامًا وعنايةً كبيرةً من قِبَل حُكّام هذه المنطقة، فكانوا يأمرون بترميمها بعناية، وعلى الأخص سلاطين الأيوبيّين الذين كانوا يمسحون التراب من فوق قُبّة الصخرة بأيديهم، ويَكْنِسون المسجد ويغسلونه بماء الورد، ومن هؤلاء الملك العزيز عثمان الذي أقام سُورًا خشبيًّا حول الصخرة، وبيبرس الأول الذي قام بترميم الأجزاء المُهدَّمة عام ١٢٧٠م، وجدَّد فُسَيْفُساء السُّوْر الخارجيّ، وفي عام ١٣١٨م قام محمد بن قلاون بإعادة تزيين القُبّة من الداخل بماء الذهب والفُسَيْفُساء، وقام بطِلائها من الخارج بالرصاص، وأمر برقوق بإقامة محفَلٍ يُبهر الأعين عند الدخول من الباب الجنوبيّ، كما قام الملك الظاهر بإصدار أوامره لإصلاح القُبّة التي احترقت بعد سقوط الصاعق عليها، أما قايتباي فأمر بتزيين الأبواب باللوحات النُّحاسية المُزينة بزخارف بارزة.

خضعت قُبّة الصخرة لإصلاحات وترميمات شاملة قام بها السلطان سليمان القانونيّ في عَهْد الدَّوْلة العثمانيّة، ووُضِعت نوافذ من الجصّ على النوافذ التي استُبدل غطاؤها الفُسَيْفُسائيّ الخارجيّ بعد أن تعرّض للتخريب بالقاشاني.

وخضعت قُبّة الصخرة في العَهْد العثمانيّ لإصلاحات جِذْرية من قِبَل السلطان سليمان القانونيّ؛ إذ قام بتغيير الفُسَيْفُساء الخارجية بالقاشاني، وترميم النوافذ بالجصّ، ثم قام السلاطين مراد الثالث وعبد الحميد الاول ومراد الثاني وعبد المجيد وعبد العزيز وعبد الحميد الثاني ببعض الترميمات لقُبّة الصخرة في عَهْد كل واحد منهم، لا سيما عبد الحميد الثاني الذي أنفق أموالًا طائلة على فَرْش الأرضية بالسجاد العجَميّ القيّم من إيران، وقام بتعليق نَجَفة رائعة في وسَطه، وجدّد القاشاني القديم.(٥٢)

٤- المقابر:

وهي المكان الذي يُقال: إنه يضمّ مَقابر سيدنا إسحاق عليه السلام، وسيدنا يعقوب عليه السلام، وسيدنا يوسف عليه السلام، وما يقرُب من ٢٠٠ نبيّ غيرهم.

٥- مسجد سيدنا عُمَر رضي الله عنه:

هو المسجد الذي أَمر بإنشائه سيدنا عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه في الموضع الذي أقام فيه صلاة الجماعة عند تسلّمه مفاتح القُدْس.

(٥٢) بوزقورت، مصدر سابق، ص ٣٠٥-٣٠٧.

opelkapi.com

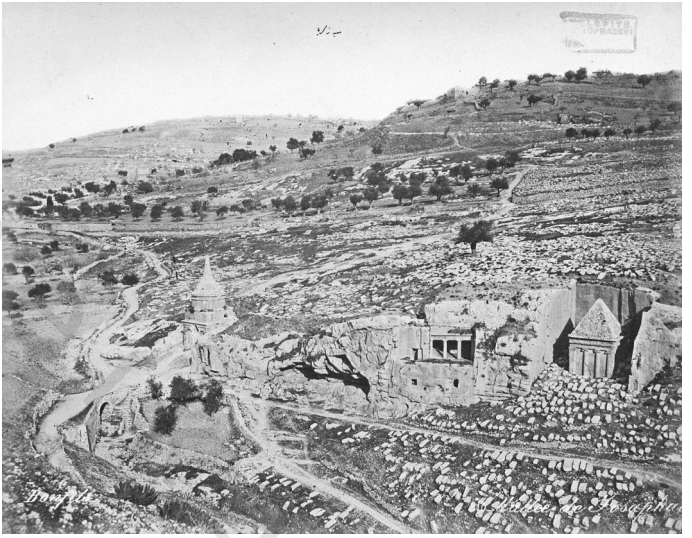

مَعْبد سيدنا زكريا عليه السلام في القُدْس

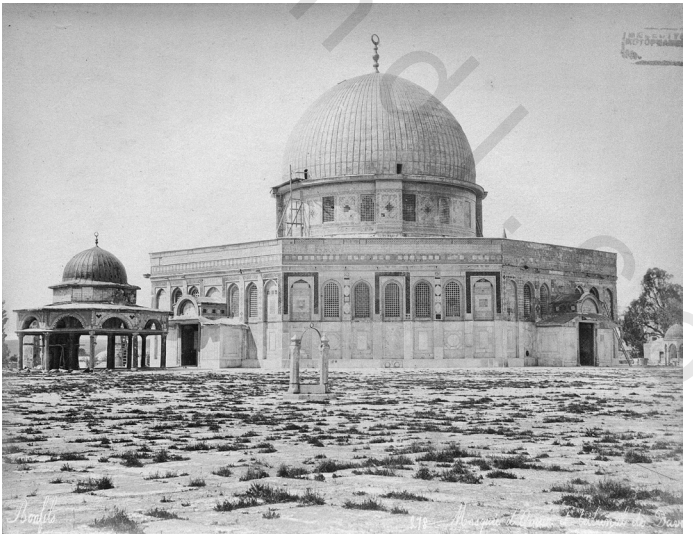

قُبّة الصخرة

(مكتبة إسطنبول، مكتبة الآثار النادرة. ٩٠٧٥٠-١)

حائط المَبْكى:

هـو أهـمّ الأماكن المُقَدسـة فـي القُدْس عنـد اليهود، وحائـط المَبْكى هو جزء من الحائط المتبقي من المَعْبد الثاني بشرق المسجد الأقصى، وهو أكثر الأماكن قدسيةً عند اليهود؛ فقد هدم الرومان مَعْبد سيدنا سليمان عليه السلام في القُدْس للمرة الثانية، وكان ذلك عام ٧٠م، وقتلوا عددًا كبيرًا من اليهود في المدينة آنذاك، ونَفَوْا من تبقّى منهم، ولم ينجُ من المَعْبد سـوى حائط واحد فقط حُوّلَ إلى حائط للمَبْكى تخليدًا لذِكْرى عملية التدمير تلك.

لقـد كُوّنت لجنة بأمر من السـلطان بناءً على طلَبات فرنسـية، وكُلّفت بمَهمّة تحديد المعابد والأماكن المُهمّة عند المسيحيّين، وفيما يلي عرض للأماكن المُقَدسة عند المسيحيين كما ذكرتها الوثيقة:

١- كنيسـة قَامَامـة: يُطلـق عليها أيضًا "كنيسـة القيامة"، وهي الكنيسـة التي أمر الإمبراطور البيزنطيّ قسْطَنْطين بإقامتها عام ٣٢٦م في مكان يُدّعى أنه قبر سـيدنا عيسـى عليه السلام، ويُطلق باب القَامامة على المكان الذي يحجّ إليـه المسـيحيّون واليهود، وكلمـة قَامَامة هي تعبير اسـتخدمه المُؤرّخون المسـلمون، وأُعيـد ترميـم المـكان خـلال الحمَـلات الصليبيـة مـا بيـن (١١٣٠ - ١١٤٩م)، ومما فَهِمناه مـن المصـادر العثمانيّـة أن الوافديـن مـن كافـة أنحـاء العالم مـن الفرنسـيّين والإنجليـز والـروم والجورجيين والحبس وغيرهم، كانوا يأتون إلى القُدْس بسـهولة ويسـر، وكانت كنيسـة قَامامة عبارة عن مَعْبد أجمعت الطوائف المسيحية كلها على قدسيته.

٢- قُبّـة كنيسـة قَامَامة الكبيرة، والقُبّة الصغيـرة فوق ما يزعمون أنه قبر لسيدنا عيسى، وهو مكان تشترك فيه المذاهب المسيحية جميعها.

٣- الأحزمـة السـبعة الحجَريّـة، ويُطلـق عليهـا سِـتي مريـم، وهـو مكان مشترك.

٤- الأحزمة الأربعة الحجَريّة أسفل منطقة جَلجَلة؛ ونصفها للرومان والنصف الآخر للاتينيين.

٥- الساحة حول حجَر المُغتسل.

٦- قبر السيدة مريم والحديقة المحيطة بها.

٧- الكنيسة الكبيرة في قرية بيت لحم، وفيها مغارة يُدّعى أن سيدنا عيسى عليه السلام وُلِد فيها، ويُطلق عليها مغارة المَهْد، وتُجْمِع الطوائف المسيحية كلها على قدسية المفاتيح الثلاثة لأبواب هذه المغارة الشمالية والجنوبية والقبلية، وقد كانت هذه المغارة سببًا في خِلافات عميقة بين الروم واللاتينيين والأرمن، ويزور مغارة المَهْد كافة الطوائف المسيحية؛ ومن أجل هذا كانت مفاتيح الأبواب تُعطى للاتينيين أحيانًا، وللروم أحيانًا أُخرى.

٨- الحديقتان الملاصقتان لدير الإفرنج في بيت لحم.

٩- السراديب في ساحة طاحون العتيق.

١٠- المكان الذي يزعمون أنه قبر سيدنا عيسى عليه السلام.

١١- مغارة الرُعاة والأراضي المحيطة بها.

obeikandl.com

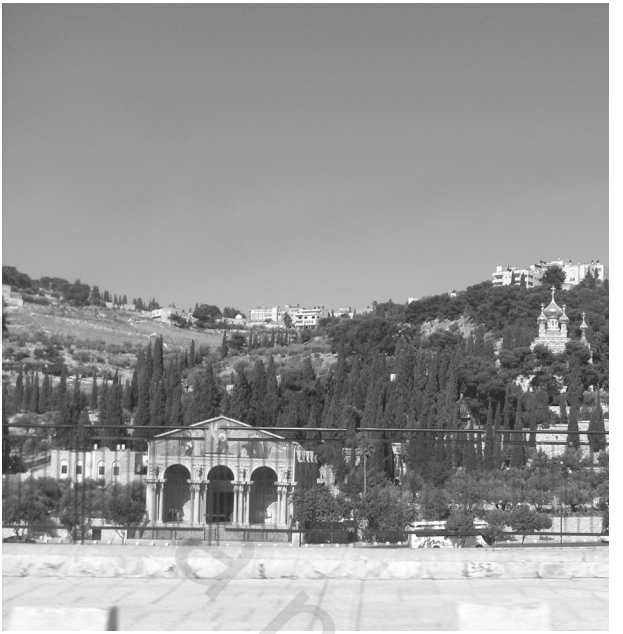

كنيسة القَامَامة و كنائس الأرثوذكس في القُدْس

١٢- حجَر المُغتسل، وهو مكان يعترف بقدسيته المسيحيّون جميعهم.

١٣- مغارة المهد، وهي المغارة التي يُدّعى أن سيدنا عيسى عليه السلام وُلد فيها، ويُطلق على الكنيسة المُقامة في هذه المغارة الكنيسة الكبيرة.

١٤- كنيسة مار يوحنا، وتقع في ساحة القَامامة، وفي الخارج كنيسة مار يعقوب، وديـر الزيتون، وديـر جورجو، والعديد من المعابد الأخرى المُشابهة.(٥٣)

(٥٣) رقم التسجيل بالمكتبة: ٤٢٧٠ (المزارات الخاصة بالمسيحيين في القُدْس وتحقيقات اللجان الخاصة بالمعابد).

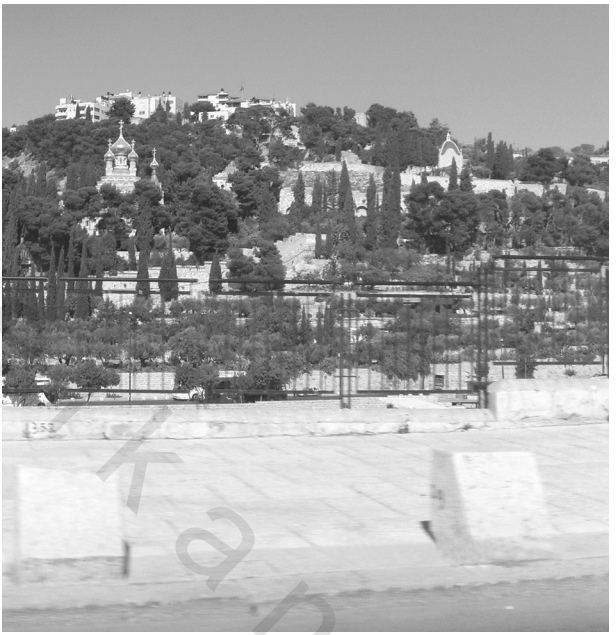

حُـدّدت الأماكـن التاريخية في ذلك المـكان، ووُضعت في قائمة عام ١٩٠٥م؛ حتى لا تكون الأراضي التي اشتراها الأجانب للبناء فوقها قريبة مـن المسـاجد والجوامـع والمقابر والآثـار الخيرية والقـلاع، وفيما يلي عرض للأماكن الدينية والأماكن التاريخية في هذه القائمة:

الأماكن الدينية والتاريخية في القُدْس الشريف:

١- الحرم القُدْسي الشريف، ويُقصد به المسجد الأقصى.

٢- زاوية بني داود والمقام الشريف.

٣- مقام سيدنا العُزَير عليه السلام في قرية العزيزية.

٤- زاوية ومقام الشيخ محمد العلَمي في الطور.

٥- قبر رابعة العدوية في الطور.

٦- قبر سلمان الفارسيّ في الطور.

٧- مقابر الأدهمية والساحرة.

٨- جهة البراق في الحرم الشريف في حيّ منارية.

٩- قبر سيدنا عُكّاشة.

١٠- مدرستا الجافالية والجثية.

١١- تَكية النقشبنديّ.

١٢- مقام بني شموئيل الشريف.

١٣- جامع وسبيل أبي مدين الغوث في عين كريم.

١٤- تَكيّة الصلاحية.

١٥- الجامع العُمَري الملاصق لكنيسة القيامة.

١٦- جامع اليعقوبية القريب من بني داود.

١٧- الجامع الملاصق للكنيسة الإنجليزية والمُواجه للقلعة.

١٨- جامع سلوان وسبيله.

١٩- جامع في قرية العيسوية.

٢٠- جامع المولوية.

٢١- المنارة الحمراء.

٢٢- جامع عُمَر في حيّ اليهود.

٢٣- قبر منسي بالقرب من بني داود.

٢٤- الجامع الشريف في قرية آرطاس وبرك السليمانية.

٢٥- الجامع الشريف في قرية الطيبة.

٢٦- الجامع الشريف في قرية "بَبره".

٢٧- الجامع الشريف في قرية بيطا.

٢٨- الجامع الشريف في قرية عبود.

obeikandl.com

الأماكن التاريخية في الضفة الغربية:

٢٩- الحرم الإبراهيميّ الشريف، وهو المكان الذي فيه قبر سيدنا ابراهيم عليه السلام وعائلته، وترقد في هذا المكان السيدة سارة زوجة سيدنا ابراهيم عليه السلام، وسيدنا إسحاق عليه السلام وزوجته، وسيدنا يعقوب عليه السلام وزوجته، ويُقدّس هذا المكان كلُّ أهل الأديان السماوية؛ ولهذا يمكن رؤية آثار كل الأديان السماوية في جوار هذا المكان.

الأماكن التاريخية في الرملة:

٣٠- جامع الأبيض ومِئْذنته.

٣١- مقام سيدنا الفضل بن العباس.

٣٢- مقام الشيخ رَسْلَان.

٣٣- مقام الشيخ رَيْحَان.

٣٤- مقام حذيفة بن اليمان.

٣٥- مقام بني رُوبيل عليه السلام ويقع بالقرب من الرملة.

٣٦- الجامع العُمَري في بيت لَحْم.

٣٧- مقام يهوذا عليه السلام في قرية اليهودية التابعة لمدينة يافا.

٣٨- مقام سيدنا هاشم في منطقة غزة.(٥٤)

لقد بذلت الدَّوْلة العثمانيّة جهودًا عظيمة لحماية الأماكن التاريخية والمحافظة عليها، وكانت تتحمل نفقات ترميم الأماكن التاريخية والعناية بها من أموال الوَقْف في ذلك المكان التاريخيّ إن وُجِد، أو من خزينة أوقاف السلطان، أو من الخزينة المالية.(٥٥)

(٥٤) BOA. ŞD, ٢٣٠١/١٦.

(٥٥) BOA. I. EV, ١٣٢٥. S/ ٢١

obeikandl.com

هـذه هـي الأماكـن المُهمّـة التـي اسـتطعنا أن نُحصيها فقـط، وعندما نُضيف إلى هذه الأماكن الجوامـع والمسـاجد والمدارس الدينية والزوايا التي بُنيت خلال ١٤٠٠ عام، وعلى رأسها مقابر سيدنا لوط عليه السلام، وسيدنا إسـحاق عليه السلام، وسـيدنا داود عليه السلام، وسـيدنا إبراهيم عليه السلام، وسـيدنا يعقوب عليه السلام، وسـيدنا يوسـف عليه السلام، ومقـام شـموئيل، وسـيدنا سـليمان عليه السلام، لو أضفنا كل هذا لأدركنا تمامًا قُدسية بلدة القُدْس عالية الشأن.

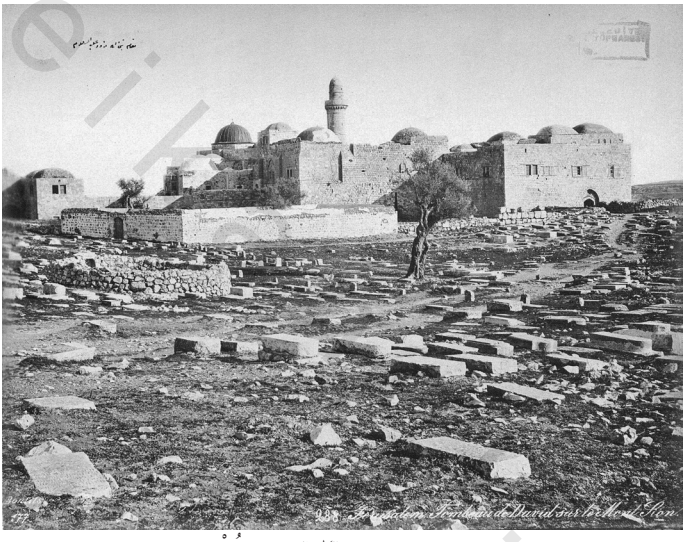

مقام سيدنا داود عليه السلام في القُدْس

٢- العناية بالمباني المُقَدسة والمباني التاريخية

أ- راعي دور العبادة: الأوقاف

تضم القُدْس والأماكن المحيطة بها كثيرًا من الأماكن التاريخية والمساجد والمدارس الدينية والتكايا والمقابر وغيرها، وأُقيم عددٌ كبيرٌ من الأوقاف للعناية بهذه الآثار والمحافظة عليها، وتوفير المأوى للفقراء والمُعدَمين وتيسير سُبُل المعيشة لهم، أُقيم بعض هذه الأوقاف فى عصور الدُّوَل الإسلامية السابقة، فحافظت مائدة الخليل إبراهيم الشهيرة على وجودها مئات السنين في هيبرون جنوب القُدْس، ولم تمسّ الدَّوْلة العثمانيّة أيًّا من أوقاف عصر المماليك، بل أضافت إليها أوقافًا جديدة ؛ فخُصّصَ لوارد الأوقاف فى القُدْس جزء كبير من الأراضي الزراعية يبلغ ٦٠٪ من مساحتها.(٥٦)

يحكي أوليا جلبي الذي زار المدينة في القرن السابع عشر عن وجود سبعمائة وَقْف في القُدْس، وأن أُمناء هذه الأوقاف كانوا على أهبة الاستعداد في دواوين المحاكم، وكان وقف السلطان حاسكي من أكبر الأوقاف التي أَقامها العثمانيّون وأهمها، وقد أسّست هذا الوَقْف حُرَّم سلطان زوجة السلطان سليمان القانونيّ ما بين عامي ١٥٥١- ١٥٥٢م، ولم يمضِ وقت طويل حتى أصبح من أكثر المؤسّسات التي تدعم الفقراء في فِلِسْطين، والوَقْف هو مجموعة واسعة تتكوّن من جامع وخان ومدرسة دينية وإمارة، وكانت الإمارة -ولا زالت قائمة إلى الآن- غير قادرة على مُمارسة مهامّها، وكانت تُوزّع الطعام الساخن على الضيوف

(٥٦) درور زيعوي، القُدْس، ص ٣.

obeikandl.com

والصوفيّة والطلاب والفقراء الذين يتوافدون لزيارة التَكية كل يوم، وكان من مهامّ القاضي تحديد من يستحقّون الحصول على الطعام.

كان للأوقاف دور مُهمّ في اقتصاد المدينة، فهي تُوفّر وظائف لمئات الأشخاص، وكان مسؤولو الوَقْف يُشرفون على عمل الطواحين، وماكينات زيت الزيتون والسمسم، والأفران، وكان عدد كبير من النقابات يقوم ببيع معظم المحصول لهذه الأوقاف، وكان موظفو الوَقْف يشترون كميات ضَخْمة من الطعام والحطَب من القرى المُجاورة، وكانت الأموال تُدفع لبعض القَرَويّين من أجل قيامهم بجمع التبرّعات لصالح الوَقْف، وشراء البضائع، وكان القَرَويّون يُؤَمّنون سُبُل معيشتهم عن طريق القانون أو الامتيازات، ولكن لم يحصل أحد منهم على مساعدات اجتماعية ألبتة، وقد مُنِحَ هذا الحقّ إلى سكان المدن، وبذلك قام الوَقْف بوظيفة الوسيط بين القرية والمدينة من ناحية، والحدّ الواضح بينهما من ناحية أُخرى تمامًا مثل السوق.(٥٧)

لم يكن بالأمر الهين جَمْع موارد الوَقْف الذي كانت له إسهاماته من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية في القدس، وقد جاء في مُحررات الأرشيف أمر بتحصيل الديون من أهالي صيدا والمزارعين في كل من كنيس وخاليف مُقابل الماء والزيت إلى إمارة الأوقاف التابعة لحُرّم سلطان في القُدْس الشريف، وجاء في وثيقة أُخرى رسالة كُتِبَت إلى أمير أمراء الشام، فيها أمر من الديوان بتعيين سبعة من إنكشارية الشام وعشرة من وجهاء قلعة القُدْس الشريف؛ لإجراء تفتيش وتحصيل أموال الأوقاف من عامل خواص الهُمايون مصطفى الذي استولى على تركة قرية السافرية التابعة لإمارة الأوقاف في القُدْس الشريف، وهي تتبع حُرّم سلطان.(٥٨)

(٥٧) كوسه، مصدر سابق، ص ٨٩.

(٥٨) BOA، دفتر المهمة ٦: ٥٣-٥٧.

وَقْف السلطان حاسكي من الأوقاف المهمة التي أدارتها الدَّوْلة العثمانيّة، مثل وَقْف الأماكن المُقَدسة التابعة لخليل الرحمن، ووَقْف النبي موسى عليه السلام بالقرب من أريحا، لقد خضعت الأوقاف المُهمة في إدارتها إلى رقابة الدَّوْلة تمامًا؛ لهذا كانت رقابة الدَّوْلة المستمرّة موضوعًا لا يقبل الجدَل دائمًا، وقد توجّه عبد القادر مبعوث السرايا عام ١٥٥٥م من إسطنبول إلى القُدْس للتفتيش والرقابة على هذا الوَقْف، وكتب التقرير التالي:

"وصلتُ إلى القُدْس الشريف في وقت الظهيرة، وتوجهتُ إلى الإمارة مباشرة، ولم يكن أحد يعلم بهذا قطعًا، فوجدتُ طعامها وخبزها مُعدًّا، انتظرتُ حتى انتهيت من صلاة الظهر، وتوجّهت بعد ذلك إلى هناك، يعلم الله تعالى أنه لم ينقص ذرّة من الطعام ووزن الخبز، وقد أمرت بأن يُوزن أكثر من عشرين رغيفًا من الخبز؛ فوجدت جملتها تسعين، وبعد أن ثبت أنها مائة وفْق عَقْد الوَقْف لم يكن هناك بُدّ من توزيعها وفْق القانون؛ فوضعت في البداية أواني من جاؤوا لأجل المأكل، وبعد أن امتلأت تلاهم الموجودون في البيوت؛ ثم خدمهم، ثم أهل العلم ممن ليس لديهم سَعَة من الطعام، ثم سائر الفقراء، وأخيرًا النساء.

ولكن الفقراء في هذه الديار كثيرون يا سلطاني صاحب السعادة! فقد كان الطعام يُوزّع من المرة الأولى، وبدأ الطاهي يطهو الطعام مرتين أكثر من مرة، ولم يصل الخبز والطعام إلى هؤلاء الأشخاص، لقد شعرت بالحَيْرة من الصيحات والجلَبة التي أحدثها الأشخاص، وهم يقولون: نحن جَوْعى".[٥٩]

لقد أولت الدَّوْلة العثمانيّة -وقد حكمت القُدْس ما بين عامي ١٥١٦-١٩١٧م أي مدة ٤٠١ عام- أهمية كبيرة لهذه الأماكن، وقامت من خلال الأوقاف بحماية الآثار الموجودة وترميمها وبناء الآثار الدينية والمعمارية الجديدة على حدٍّ سواء.

(٥٩) آمي سينغر، البر في الدَّوْلة العثمانيّة، عمارة حسكي سلطان بالقُدْس، TVYY ، إسطنبول، ٢٠٠٤م، ص ١١٧-١١٨.

ب- ترميم الآثار مثل الجوامع والكنائس والمدارس الدينية والأسواق والحمامات

جرَتْ عمليات الترميم والإصلاح في عصر السلطان سليمان القانونيّ بشكل مُكثّف، وشملت الأماكن التاريخية والمُقَدسة وذات الاهتمام الاجتماعي في القُدْس، واستمرّت هذه الأعمال في الفترات التالية لذلك أيضًا.

أرسل السلطان سليمان القانونيّ المعمار سِنَان إلى القُدْس، واستدعى لَالَه مصطفى من ولاية مصر، وكلَّفه بأعمال الترميم والإصلاح في القُدْس، واستقدمَ المِعْماريّين والعُمّال المهَرة والنقَّاشين من مصر والشام وحلب لترميم قُبّة الصخرة، فأُزيل الطِّلاء الفُسَيْفُسائيّ عن الحائط الخارجيّ؛ لأنه بدا في حالة يحتاج معها إلى كثير من الإصلاح، ووُضِعَت لوحات من القاشاني بديلًا عنه، وزُيِّن السطح الخارجي للمبنى بـ ٤٥٠٠٠ لوحة من القاشاني، وأحيط هذا القاشاني بسورة يس خطَّها عليه قَرَه حصار أحمد، وخُطَّت الآية ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ (سورة يس: ٣٦/٥٨) من هذه السُّورة بخطٍّ جليّ في كل ركن من أركان المَبْنى، ووُضِعَ في الطَّرَف العُلْويّ من الكتابة فوق القاشاني مِيزاب مخلوط بالقصدير والرصاص خُصِّص من أجل جرَيان ماء المطر، وأعلى هذا الجزء حوافّ القُبّة المُغطّاة بالرصاص.

وُضِعَ المَرْمر في الجزء السُّفْلي من الجدران الخارجية بديلًا عن الفُسَيْفُساء، ورُكّبَ الزجاج الملون على النوافذ داخل تجاويف من الجِصّ، وخُطَّت الآية الكريمة ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ (سورة طه: ٢٠/٧٦) فوق الباب الشمالي لقُبّة الصخرة، وحملت توقيع عبد الله التبريزي، وخُطّت الكتابة على القاشاني ناحية قُبّة السلسلة باسم السلطان القانونيّ، وحملت

تاريخ ٩٦٩ هـ/١٥٦١م، وكان السلطان سليمان القانونيّ قد أمر قبل وفاته أن يُغطّى مِصْراعا الباب الشرقيّ والغربيّ لقُبّة الصخرة بلوحات من البرونز.

يضمّ المتحف الإنجليزيّ في لندن حاليًّا القنديل "السراج" المصنوع من القاشاني الذي أوقفه السلطان سليمان القانونيّ لقُبّة الصخرة، ويُفهم من هذا أن القنديل الذي حمَل تاريخ ٩٥٦هـ (١٥٤٩م) قد خُصّص في الإصلاحات التي أُمِرَ بتنفيذها هنا، وقد كُتِبَ عليه اسم إزنيك، وهو اسم المكان الذي صُنِعَ فيه.(٦٠)

استمرّت عمليات الإصلاح والترميم لقُبّة الصخرة في عصر السلطان العثمانيّ مراد الثالث، كما استمرّت عمليات الإصلاح من الداخل والخارج بعد ذلك بأمر من السلاطين عبد الحميد الأول عام ١٧٨٠م، ومحمود الثاني عام ١٨١٧م، وعبد المجيد عام ١٨٥٣م، وعبد العزيز عام ١٨٧٤م، وعبد الحميد الثاني عام ١٨٧٦م، وتنصّ الكتابات على أن الإصلاحات التي أمر السلطان عبد العزيز بتنفيذها كانت ما بين عامي ١٨٧٠-١٨٧٥م، وأن طُغْراء السلطان وُضِعَ بشكل منتظم على شريط الكتابة الذي يعود إلى القرن السادس عشر.

خضَع المسجد الأقصى كذلك لأعمال الإصلاح والتجديد خلال الفترة التي أمر فيها السلطان سليمان القانوني بترميم المباني في القُدْس على اختلافها، واكتست حوائط المَبْنى بلوحات من المَرْمر الملوّن المُزيَّن بأشكال هندسية مُنتظمة من الأسفل إلى الأعلى بمحاذاة النوافذ العُلْوية، وغُطّي الطرَف العُلويّ لهذا المرمر بالقاشاني أيضًا، كما زُيِّن عُنق القُبّة المركزية بالقاشاني من الخارج، بَيْد أنه مع نهاية عصر الدَّوْلة العثمانيّة

(٦٠) كوسه، مصدر سابق، ص ١٢٧-١٣٠.

لم يتبقّ من القاشاني سوى قِطَع قليلة العدد، وزُوِّد جزء كبير من النوافذ المصنوعة من الجِصّ بالقاشاني وزخارف مُرصّعة بالقاشاني، وكُسيت العقود الحجَريّة في الفناء الداخليّ للمبنى بالمَرْمر، ودُعّم المَبْنى لضمان سلامته بوضع أربع زوايا حديدية للنافذة بديلًا عن نظيرتها الخشبية.(٦١)

وفي عام ١٧٤٤ و١٨٤٢م تكرّرت الزيارة إلى المسجد الأقصى لإجراء ترميمات أخرى بعد أن حدثت تشقُّقات في بعض الأماكن بسبب الزلزال.

أُقيم في عَهْد الدَّوْلة العثمانيّة عددٌ كبير من المساجد والأسواق داخل الأسوار، وتمّ إصلاح المباني القائمة، وفيما يلي ذكر لجانب من هذه المباني: مسجد عُمَر الصغير، ومسجد أبي بكر الصديق، ومسجد شُورْبَجِي العثمانيّ، ومسجد مُصعب بن عُمير، ومسجد الروصاصي، وأسواق القطّانين والقصّابين والنحّاسين والعطّارين، وباب العمود.

أُقيم بالإضافة إلى هذا عددٌ كبيرٌ من الحمامات والسُبُل والمُصلّيات، مثل حمام السلطان، وتَكيّة السلطان حاسكي، وسبيل قاسم باشا وباب السلسلة وطريق الوعد والأتم والسلطان سليمان القانوني، وكان هذا السبيل الأخير داخل المسجد الأقصى.(٦٢)

(٦١) كوسه، مصدر سابق، ص ١٣٠-١٣١.

(٦٢) محمد تميرجي، **الأثار العثمانيّة في القُدْس**، مجلة "كولتور"، العدد: ١٥، إسطنبول، ٢٠٠٩م.

حمام السلطان في القُدْس

وفيما يلي عرض لبعض الأماكن الدينية والتاريخية التي أمرت الدَّوْلة العثمانيّة ببنائها أو ترميمها، سواء كانت للمسلمين أو غيرهم من غير فَرْق بينها في هذا:

- ترميم مراقد الأنبياء موسى ويونس ولوط (عليهم السلام) من موارد الوَقْف.(٦٣)
- ترميم مدرسة ديوانجي في القُدْس عام (١٨٧٤م).
- تجديد غطاء صندوق الميراث المبارك لسيدنا داود عليه السلام عام (١٨٤٦م).
- ترميم مقبرة سيدنا موسى عليه السلام عام (١٨٩١م).
- تجديد كنيسة وجامع شموئيل عليه السلام المدفون في القُدْس في عامي (١٨٨٢ و١٩٠٣م).
- بناء مدرسة الرشدية الإعدادية الأولى في القُدْس عام ١٨٦٨م، والثانية عام ١٨٨٩م.
- بناء مدرسة يهودية للإناث عام ١٨٩١م.

(٦٣) BOA، دفتر المهمة ١٢: ١١٣٣.

يُضاف إلى هذا أيضًا ترميم بعض المقامات المباركة في المدينة، وترميم مقبرة سيدنا موسى عام ١٨٥٥م، وترميم مقامات الأنبياء ما بين عامي (١٨٧٧- ١٨٩٢م).[٦٤]

فيما يلي عرض لعمليات إنشاء المباني الاجتماعية والإدارية وإصلاحها:

سُمح في عام ١٨٥٥م لـ"*Moiz Monte Fiyor*" اليهوديّ بإقامة مستشفى بجوار القُدْس، وفي عام ١٨٦٨م أُنشئت ثكنة عسكرية وقصر حكوميّ، وفي عام ١٨٧٣م أُنشئت ثكنة عسكرية أخرى، كما رُمّم المسجد داخل السجن عام ١٨٧٧م، ورُمّم القصر الحكوميّ عام ١٨٩٨م، ويقع دير "ماریاكوب (*Mariakob*)" في القُدْس، ويوجد فيه بَطْرِيَرْك الأرمن والروم، وفي عام ١٨٤٩م أُنشئت مدرسة ودار للطباعة من أجل ماریاكوب.

يضمّ القُدْس سفارات كثير من الدُّوَل؛ وذلك لكون القُدْس مركز تجارة من ناحية، ومدينة مُقَدسة من ناحية أخرى، ومن هنا كانت إقامة الكنائس في القُدْس من أجل المقيمين في المدينة من مواطني الدُّوَل المختلفة، ويمكن عرض هذه المباني على النحو التالي:

سُمِحَ في عام ١٨٠٣م بترميم كنيسة القيامة التي كان يُديرها الرهبان الفرنسيون، وفي عام ١٨٤٥م أُقيمت كنيسة بروتستانتية داخل مبنى القنصل الإنجليزي، وقُدّم كل ما يلزم من موافقات للسفارة الفرنسية من أجل ترميم دير وكنيسة القيامة، وطُرُق المياه الخاصة بها، وأُقيم عام ١٨٥٥م كنيس من أجل اليهود، وأُقيمت عام ١٨٥٦م كنيسة رومانية في قرية "بينَ الجاجه"، وكنيسة رومانية أُطلق عليها "مار إلياس (*Mar İlias*)" في مركز البلدة، كما أُقيمت كنيسة "أيا يورجي" في بلدة لوم، وفي عام (١٨٦٩) أُقيم دير الرهبان الفرنسيين، وجرى ترميم دير الرهبان الفرنسيين بداخل

(٦٤) بارس توغلاجي، **القُدْس: المدن العثمانيّة**، إسطنبول، ١٩٨٥م، ص ٣٦٨-٣٦٩.

كنيسة قامامة، وشُيّدت أيضًا كنيسة داخل دار المغتربين عام (١٨٨٥م)، وبُنيت كنيسة رومانية باسم "آيا كاتريتَ" بدلًا من الكنيسة التي تهدّمت في حيّ نارحا، وأُقيمت كنيسة الأساقفة والرهبان البروتستانت الإنجليز عام (١٨٩٤م)، وأُقيمت أيضًا عام ١٨٩٤م كنيسة في حي عاقِبة "أُسُّبَاغْ (*Üssübağ*)" (١٨٨٦م)، وشُيّدت كنيسة لاتينية في حديقة دير عامواس في قرية قوبيدة، ومنزل يُقيم فيه الرهبان البروتستانت، ومدرستان داخل المَعْبد، وأُنشئت كنيسة في قرية "عين كَرْم" عام (١٨٨٠م).[٦٥]

ج- ترميم أسوار وأبراج القُدْس

أمر السلطان سليمان القانونيّ بإعادة بناء الأسوار المحيطة بمساحة تبلغ ٨٦٨ دُنُمًا -وهي المنطقة التي يُطلق عليها "المدينة القديمة- فوق الأساسات المتبقية من العصر البِيْزَنْطيّ والصليبيّ؛ رغبةً منه في الحفاظ على الأماكن المُقَدسة، وحماية المدينة من هجَمات المُستعمرين الأجانب ومن هجَمات البدو.

كانت الأسوار على شكل مُربع، وترتفع عن الأرض بما يُوازي ١٢ مترًا تقريبًا، وطول ٣,٢١٨ كيلومترًا، وكان لهذا البناء أربعة وثلاثون بُرْجًا، وسبعة أبواب للخروج، أُطلق على هذه الأبواب باب العمود والخليل والمغاربة والأسباط والساهرة والنبيّ داود ومريم (عليها السلام).

يُعرف باب العمود كذلك باسم باب دمشق وباب النصر، وهو أشهر أبواب القُدْس، وأكثر أبواب الدخول ازدحامًا، يتألف هذا الباب من مَدْخل وعِقْد حجَريّ، وكُتب بين المَدْخل والحزام الحجَريّ اسم السلطان العثمانيّ ولقَبُه وتاريخ بناء الباب، دُعّم مَدْخل الباب بالنحاس، وغُطّي بمِصْراعين صُنِعا من الشجَر، ويحتوي هذا الباب على غُرْفة للتهوية،

(٦٥) بارس توغلاجي، **القُدْس**، صى ٣٦٨-٣٦٩.

وتُذكِّر طريقة بنائه بالمِعْمار العسكريّ، ويُعدّ هذا الباب أثرًا فنيًّا مُهمًّا.(٦٦)

يُطلق الفرنسيّون على باب الساهرة باب "هيرودوتس (*Herodos*)" أو "ماديللين (*Madellin*)"، ويتكوّن الباب من مَدْخل وحزام حجَريّ كتب بينهما اسم السلطان ولقَبُه وتاريخ بناء الباب، ويُغطّي المَدْخل مِصْراعان كبيران من الخشَب المُصفَّح بالنحاس مثل باب العامود، وفيه غُرْفة لتجديد الهواء كذلك.

يُعرف باب الخليل باسم باب "يافا" أيضًا، ويتكوّن هذا الباب من مَدْخل وحِزام حجَريّ كبير، وبينهما نَقْش حجَريّ عليه اسم السلطان العثمانيّ ولقبه وتاريخ بناء الباب، ويُشبه مصراعا هذا الباب نظيريهما في باب العامود والساهرة، وفيه غُرْفة للتهوية أيضًا.

باب الخليل أحد أبواب الحرم الشريف في القُدْس

سُمّي بابُ النبيّ داوود عليه السلام بابَ صهيون أيضًا، وقد جُدّدت عمارته سنة ١٥٤١م، ويتكوّن هذا الباب من مَدْخَل كبير، وحِزام حجَريّ مُدبّب،

(٦٦) كوسه، مصدر سابق، ص ١٢٦.

وفوقه بُرْج حجَريّ صغير، وفيه نقش حجَريّ بين المَدْخِل والحِزام، عليه اسم السلطان ولقبُه وسنة البناء، ويُغطّي المَدْخَل مِصْراعان من الخشب المُصفّح بالنحاس، ويُمكن الوصول إلى الأسوار من جهة اليمين بعد المَدْخَل، وتظهر صورة من العِمَارة العسكرية في هذا الباب، وله من الارتفاع ما يجعله مُهمًّا من الناحية العسكرية؛ إذ كان يُستعمل البُرْج الحجَريّ للمراقبة، كما أنه مُهِمّ من حيث مواضع رَمْي السهام وصبّ الزيت المَغْليّ على الأعداء المُهاجمين.

سُمّي باب المغاربة باب سلوان أيضًا، وأَطلق عليه الفرنسيون باب قامامة، ثم جُدّد هذا الباب عام ١٥٤٠م، ويختلف هذا الباب عن أبواب أسوار القُدْس الأخرى من ناحية الحَجْم والخصائص المِعْمارية؛ إذ هو بسيط من الناحية المِعْمارية، وحَجْمه أصغر من حَجْم الأبواب الأخرى، يشترك هذا الباب مع الأبواب الأخرى من ناحية العُمْق، ويتكون هذا الباب من مَدْخَل رُباعيّ الشكل، فوقه عتبتان، وفيه حِزام حجَريّ صغير فوق العتبة الأولى خارج السُّوْر، ويستقرّ هذا الحِزام الحجَريّ مُتوسط الحَجْم على قطعتين من حجَر مُربع الشكل، وفيه بين العتَبة والعِقْد الحجَريّ نقش كتابيّ عليه اسم السلطان ولقَبه وتاريخ الإنشاء، أما العتَبة الثانية فمساحتها أكثر طولًا وحَجْمًا من الأخرى.

يُعرَف باب الأسباط بباب القِدّيس "إسيفانوس (*Stefanos*)" أو باب "ستّي (*Sitti*)" مريم أيضًا، ويمتد من شرق الحرم الشريف إلى شماله، يتكوّن الباب من مَدْخَل كبير، وعِقْد حجَريّ مُدبّب بينهما نَقْش كتابيّ باللغة العربية عليه اسم السلطان وتاريخ ترميم الباب، ونُقش عليه في موضع آخر اسم المرحوم الحاج حسن بك الذي بذَل جُهْدًا في تشييد المَبْنى، ويُغطّي مَدْخَل الباب مِصْراعان من الخشب مُدعّمان بالبُرونز، وفي أعلى الحزام بُرْج حجَريّ صغير، ومنه كان يُصبّ الزيت المَغلِيّ وتُرمى السهام على الأعداء.

تضمُّ الأسـوار عـددًا من الأبـراج والقِبـاب المُختلفة، ويَتألّـف البُرْج مـن طابقَيْـن يتصلان بمَدْخَل صغير من جهة الغرب، وللبُرْج ثلاثة حوائط يُلاصق كل مِنْها أسوار القُدْس، تقـعُ هذه الحوائط ناحية الشمال والجنوب والشرق، وفي البُرْج مساحات لرَمْي السهام، وفي الجدار الغربيّ منه غُرْفة صغيرة تُشـبه السِـرْداب، يتألف الطابق الثاني من البُرْج من ساحة مفتوحة، ويُمكـن الوصـولُ إليهـا من البُـرْج الغربيّ عـن طريق السـلالِم، وفي هذا الجزء بُنيت ساحة واسعة لمُراقَبة جيش الأعداء الذي يُحاصِر المدينة.

يقـع بُرْج "الكِبْريت" إلى جنوب الأسوار، وتظهر فيه خصائص العمَارة العسـكرية، وقـد كان الهدف من إنشـائه حماية أسـوار المدينـة وتقويتها، يختلـف هـذا البُرْج عن غيـره بامتلاكه عناصر مِعْمارية على شـكل مُربّع ومُسـتطيل وأُسْـطوانة، ويعـود بنـاء هـذا البُـرْج -وفْقًـا لمـا هـو مكتوب في وسَـط السـطح الخارجيّ له- إلى عام ١٥٤٠م، يتألف البُرْج من مَبْنى على شكل مُربـع، ويمتاز هذا المَبْنى المكون من ثلاثة طوابق باتّساع غُرَفه، وفي كل غُرْفة من الغُرَف الشرقية والغربية والجنوبية نوافذ خَفيّة لرَمْي السهام لا تُـرى مـن الخـارج، ويُمكـن الوصـول إلـى الطابقيـن الأول والثانـي مـن داخل السُّـوْر عن طريـق مَدْخل صغيـر يقـع ناحية الشـمال، ويتألف الطابق الثالث من ساحةٍ واسعةٍ مفتوحة على شكل مُستطيل.

تُعـرف قُبّة النبيّ أيضًا بمِحْراب النبيّ، ويُكوّن المِحْراب القسـم الأول مـن الأثَر الذي بُني مـا بين عامي ١٥٣٨-١٥٣٩م، ويسـتقرّ داخل أعمدة القُبّة، تُوضّـح الكتابة أن محمد بك الذي بنى القُبّة قد عُرِف بلقب "صاحب لواء غزّة والقُدْس الشريف"، أما جزء القُبّة الذي يتألّف منه القسم الثاني من المَبْنـى فقـد بُنِي عام ١٨٤٥م خلال حكم عبد المجيد الثاني، ويتكوّن من ثمانيـة أعمـدة دائرية وحِزام حجَريّ مُدبّب يربط بينها، كُتِبَ عليه باللغتين العربية والتُّركية، وتُشير الكتابة إلى تاريخ إنشاء الأثر والخبير الذي أنشأه.

بُنيت هذه الأسوار وما عليها من أبراج وقِباب، ورُمّمت ما بين عامي ١٥٣٦-١٥٤٠م، وكلّف هذا الأمر أموالًا كثيرة، وقد نُظِّم عدد من الدعايات لتدبير المصروفات اللازمة للترميم في مناطق فِلِسْطين المُختلفة.

ومع إعادة إنشاء هذه الأسوار ظلّت مناطق المقابر اليهودية ووادي "كِدرون (*Kidron*)" وبعض الأماكن المسيحية المُقَدسة خارجَ الأسوار.

وتُشير الكتابة على باب المَدْخَل الرئيسيّ لقلعة "القُدْس" أنها قد خضَعت للترميم قبل ترميم الأسوار بعِدّة سنوات.(٦٧)

د- بناء وإصلاح طرق مياه البُرَك في القُدْس

يُعدّ الجفَاف من أهمّ مُشكلات القُدْس، وكان الناس يُوفّرون احتياجاتهم من الماء من الأمطار التي تتجمّع في الوديان والبُرَك، بَيْد أن هذه المياه المُتجمّعة لم تكن تكفي حاجة الناس في فصل الصيف، ولفَتتْ مُشكلةُ المياه التي يُعانيها القُدْس بشكل مُتكرّر انتباهَ السلطان سليمان القانونيّ؛ فقام بتخصيص أموال كثيرة لإنشاء خطوط المياه -وهي القنَوات والخزّانات والسُّبُل والحمّامات- وإصلاحها والعناية بها، وأصبحت المياه التي جلَبها لهم القانونيّ من مسافات بعيدة جدًّا نِعْمة كبيرة من أجل أهل القُدْس، وعلى سبيل المثال ورد في وثيقة مُؤرّخة بعام ١٥٦٤م قرار من الديوان يسمح بإعطاء مِقْدار من الماء بناءً على طلَبٍ من وَقْف صخرة الله الشريفة في القُدْس الشريف؛ لتدبير أمورهم مدة شهرين من مياه الآبار التي تجمع مياه الشتاء للحمّام، ويُطلق عليه حمّام سيدنا داود عليه الصلاة والسلام، والسماح بالحصول على مقدار من الماء في الشهور المتبقية من العام من مياه القُدْس الشريف.(٦٨)

(٦٧) كوسه، مصدر سابق، ص ١٢٦-١٣٠.

(٦٨) ، دفتر المهمة ٦: ١١٣.

وأما النهر الذي قَصَده أوليا جلبي في قوله: "السلطان سليمان القانونيّ أجرى نهرًا في القُدْس التي كانت تُلبي حاجاتها المائية قبل ذلك من الخزّانات"، فهو قناة مائية آتية من مسافة بعيدة جدًّا.

وفيما يلي عَرْض لبعض الإنشاءات التي شُيّدت من أجل حلّ مُشكلة المياه في القُدْس:

- إصلاح القنوات التي تمدّ القُدْس بالمياه، وهي قناة السبيل الواقعة بين بيت لَحْم وخليل الرحمن.
- ترميم السبيل خارج باب يافا المعروف بـ"بُرْكة السبيل".
- تجديد السبيل المملوكيّ من الطرَف الداخليّ للحرم الشريف -ويُعرف بـ"سبيل شَعْلان"- عام ١٦٢٧م.
- إصلاح قناة السبيل ما بين عامي ١٦٥٦ - ١٦٦٦م.[٦٩]

(٦٩) كوسه، مصدر سابق، ص ١٣١-١٣٢.

obeikandl.com

خريطة طرق المياة التي أقامها القانوني من أجل القُدْس/ خريطة قناة الماء التي تسيل من منبعها في "بركة السليمانية" لتصل حتى الحرم القُدْسي الشريف

(جامعة إسطنبول، مكتبة الآثار النادرة، ٩٠٥٧٥- ١٥)

obeikandi.com

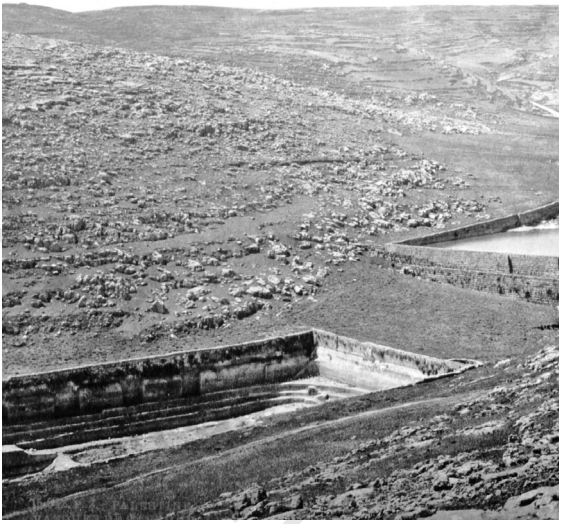

البركة، أحواض المياه

(جامعة إسطنبول، مكتبة الآثار النادرة، ٩٠٥٧٦- ٢٤)

قام السلطان سليمان القانونيّ -إلى جانب المياه التي جَلبها إلى القُدْس بواسطة القنَوات- ببناء عدد كبير من أحواض المياه التي أُطلق عليها البُرَك، وخَضَعت هذه الأحواض بمرور الزمن للإصلاح والترميم.

وورد في وثيقة مُؤرّخة بعام ١٨٤٨م بيان من حاكم القُدْس مصطفى باشا، يخبر فيه أن الناس باتت تدعو للسلطان سليمان القانونيّ جعل الله الجنّة مَثواه، خلال مراسم افتتاح وتسيير المياه إلى حوض المسجد الأقصى، بعد إصلاح السلطان للمجاري والأحواض غير الصالحة التي أقامها على مسافة أربع ساعات من القُدْس الشريف.(٧٠)

(٧٠) BOA. I. DH, ١٦٨/٨٨٦٨.

ومع حلول القرن العشرين بلغ عددُ سُكان القُدْس مئات الآلاف، وازدادت حاجة المدينة الشديدة للماء مع سُرعة تزايد أعداد السُكّان والهجْرات، وفى عام ١٩٠٤م طلب حاكم القُدْس من الإدارة المركزية أن تُنقل المياه إلى القُدْس من المنبع فى"خاروب" التي تقع على مسافة ٢٤ كم منه؛ لأنّهم اضّطروا لشُرب المياه الآسنة المُتبقّية في الخزانات من فصل الشتاء، ولكَثْرة عدد الذين يزورون القُدْس، وكذا ما تتمتّع به المدينة من أهمية في نظر أوربا،(٧١) وفي عام ١٩٠٩م أصبح الموضوع مجالاً للحديث من جديد؛ فإعطاء الناس جلود وأمعاء الحيوانات المذْبوحة إلى البلديّة مَجّانًا سَيُدِرّ مبلغًا قُدِّر بمليوني فرنك ومائتي ألف، وصدر قرار مجلس الدَّوْلة إلى وزارة التجارة والإسكان كي تقوم بِتوفير المياه بناءً على أمر صادر من السلطان(٧٢) إلى المجلس، ومُحوَّل منه إلى السرايا.

(٧١) BOA. Y. MTV, ٢٦٤/ ١١٩

(٧٢) BOA. İ. DH, ١٣٢٧ .N. /١